

قصة الحلاج نسخة خطية جديدة من سيرة الحلاج الشعبية

تحقيق وتقديم: أسامة غالي (*)

(١)

الحلاج ترجمةً وأثراً

هو الحسين بن منصور، ويكنى بأبي مُغيث^(١)، وكان يلقَّب في تركستان بالمقيت، وفي خراسان بالمميز، وفي بغداد بالمصطلم^(٢)، وقد اشتهر بلقب الحلاج^(*). ولد في مدينة «بيضاء»^(*) في بلاد فارس في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، في حدود سنة «٢٤٤هـ»؛ ثم انتقل وأسرته إلى العراق في «واسط»، ولم يمكث فيها طويلاً، إذ غادر إلى «تُستر»^(*)، وقد رافق الصوفي الشهير سهلاً التستري^(*)، ثم عادَ العراق في «البصرة»، ورافق عمرو بن عثمان المكي^(*)، وكعادته في الترحُّلِ قصدَ «بغداد»، وكان وقتها أبو القاسم الجنيد

(*) باحث من العراق

(١) ينظر: أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية (تح: نور الدين شربه)، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٣٠٧.
(٢) ينظر: الحافظ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م، ج ١٤، ص ٣١٥.
(*) قيل إنَّ هذا اللقبَ عائدٌ إلى صنعةٍ امتنها في بداية حياته. وقيل إنَّ أباه كانَ حلاجاً، فجاء اللقبُ نسبةً لأبيه، وقيل إنَّه كانَ يكشفُ سرائر الناس وما أضمرت، ويخبر عنها، وقيل الخاصة من الناس وهم المريدون، ولذا اسموه «حلاج الأسرار». (*مدينة بفارس، وهي أكبر مدينة في كورة اصطخر، وسميت بيضاء؛ لأنَّ لها قلعةً تبدو عن بُعدٍ، وهي تامَّة العمارة، خصبة الأرض، بينها وبين شيراز ثمانية فراسخ. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م، ج ١، ص ٥٢٩.

(*) مدينة بخوزستان، وهي تعريب لـ «شوشتر» أي الحسن. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩.
(*) هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى، وكنيته أبو محمد، أحد أئمة الصوفية، صحبَ محمد بن سوار، وشاهدًا ذا النون المصري، توفي سنة ٢٨٢هـ، وقيل سنة ٢٩٣هـ. ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص ٢٠٦.
(*) هو عمرو بن عثمان بن كرب، وكنيته أبو عبد الله، كان ينتسب إلى الجنيد في الصحبة، وصحبَ أبا سعيد الخزاز، توفي ببغداد سنة ٢٩١هـ، وقيل سنة ٢٩٧هـ. ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص ٢٠٠.

- ١٣- كتاب العدل والتوحيد.
- ١٤- كتاب السياسة والخلفاء والأمراء.
- ١٥- كتاب علم البقاء والفناء.
- ١٦- كتاب شخص الظلمات.
- ١٧- كتاب نور النور.
- ١٨- كتاب المتجليات.
- ١٩- كتاب الهياكل والعالم والعالم.
- ٢٠- كتاب مدح النبي والمثل الأعلى.
- ٢١- كتاب الغريب الفصيح.
- ٢٢- كتاب اليقظة وبدء الخلق.
- ٢٣- كتاب القيامة والقيامات.
- ٢٤- كتاب الكبر والعظمة.
- ٢٥- كتاب الصلاة والصلوات.
- ٢٦- كتاب خزائن الخيرات.
- ٢٧- كتاب مواجيد العارفين.
- ٢٨- كتاب خلائق القرآن الاعتبار.
- ٢٩- كتاب الصدق والإخلاص.
- ٣٠- كتاب الأمثال والأبواب.
- ٣١- كتاب اليقين.
- ٣٢- كتاب التوحيد.
- ٣٣- كتاب النجم إذا هوى.
- ٣٤- كتاب الذاريات ذرواً.
- ٣٥- كتاب في أن الذي أنزل القرآن لرادك إلى معاد.
- ٣٦- كتاب الدرّة إلى نصر القشوري.
- ٣٧- كتاب السياسة إلى الحسين بن حمدان.
- ٣٨- كتاب هو هو.
- ٣٩- كتاب كيف كان وكيف يكون.
- ٤٠- كتاب الوجود الأول.
- ٤١- كتاب الكبريت الأحمر.
- ٤٢- كتاب السمري وجوابه.
- ٤٣- كتاب الوجود الثاني.
- ٤٤- كتاب لا كيف.

شَيْخِ الطائفة، ثمَّ قصدَ «مكة»، ومكثَ فيها عاماً حتّى عادَ «بغداد».

توفّي الحلاج في «بغداد» مقتولاً سنة «٣٠٩هـ»^(٣)، وكانت تيك الواقعة مدارَ جدلِ استقبالٍ واسعٍ، إذ ثمَّ دارسون احوالوا القتلَ إلى صراعٍ سياسيٍّ عقديٍّ، غير أنّ مآل الحلاج لا يبعد أن يكونَ تفسيراً لـ «ما وراء الأكمة ما وراءها».

ترك الحلاجُ أثراً تأليفيّاً ونثريّاً وشعريّاً كبيراً، وقد نالَ عناية الدارسين والباحثين، عرباً ومستشرقين وغيرهم، غير أنّ أثره لم يصلِ كاملاً، إذ طوى الدهرُ كشحاً عنه، أو قلّ: باعدَ الضياعُ بينه وبينَ نظيرِ المعنيين، ولم يبقَ منه إلاّ قلٌّ حفظته ذاكرةُ الرواة، وعناوين حفظها مسرّدُ المؤرخين، وهي^(*):

- ١- كتاب طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية.
- ٢- كتاب الأحرف المحدثّة والأزلية والأسماء الكلية.
- ٣- كتاب الظلّ الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية.
- ٤- كتاب حمل النور والحياة والأرواح.
- ٥- كتاب الصيهور في نقص الدهور.
- ٦- كتاب تفسير قل هو الله أحد.
- ٧- كتاب الأبد والمأبود.
- ٨- كتاب القرآن والفرقان والقرآن هو الاقتران.
- ٩- كتاب خلق الإنسان والبيان.
- ١٠- كتاب كيد الشيطان وأمر السلطان.
- ١١- كتاب الأصول والفروع.
- ١٢- كتاب سرّ العالم والمبعوث.

(٣) ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص ٣٠٨.

(*) المدار في الثبوت ما ذكره كامل مصطفى الشيباني في مقدمة ديوان الحلاج.

٤٥- كتاب الكيفية والحقيقة.

٤٦- كتاب الكيفية والمجاز.

٤٧- كتاب الإحاطة والفرقان.

٤٨- كتاب أنفاس النور.

٤٩- كتاب في السحر.

٥٠- الديوان.

أم إنشاداً، إذ كثير منه لا يتفق وعصر الحلاج، ومثال ذلك ما ورد في «قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد»^(٤):

وسقيها الشيخ عبد القادر

فرقى منها أعلى مقام

وفي بيت آخر:

وكذاك ابن الرفاعي أحمد

مذ سقيها هامَ فيها كالهمام.

فالشيخ عبد القادر ولد سنة «٤٧٠هـ»، وأحمد الرفاعي ولد سنة «٥١٢هـ». والأمر الآخر، أن الشخصية المحورية في السير، وهي أبو القاسم الجنيد، قد توفي سنة «٢٩٧هـ»، أي قبل قتل الحلاج باثني عشر عاماً.

يسوّغ ما مرّ، أن تيك السيرة كانت تدويناً، وليس تأليفاً، أي أنها لم تكن نسخاً على أصل واحد، وإنما كل نسخة هي أصل بذاته، ولا يبعد أن يكون هذا مدار الاختلاف بينها، أو الزيادة والنقص، وإن اتفقت في مظان كثيرة، بمعزل عما يتصل بظرف النسخ، أو مهارة النساخ.

(٣)

في نسخة التحقيق وما إليها

اعتمدت في هذه النشرة نسخة مصورة لـ«قصة الحلاج»، قد اتفق أن وجدت في إيران سنة «٢٠١٨م» بوساطة الأستاذ المحقق محسن بيدارفر، ولم أكن أفكر بتحقيقها ونشرها، إذ تفتقر إلى قيود، فضلاً عن أن التصوير لم يكن بوضوح عالٍ في مظان كثيرة، غير أن استكتاب مجلة المورد؛ لإحياء ذكرى الحلاج في عدد خاص، دعا إلى إعادة النظر في المخطوط، وكنت قد قابلت

(٤) ينظر: قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد (تح: سعيد عبد الفتاح)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص ٨٢ - ٨٣.

(٢)

الحلاج سيرة أخرى

لا غرو أن الحلاج بلغ شأواً عظيماً في الثقافة الإسلامية، بل في الثقافة العالمية، وقد تعاوَرَ المؤرخون والدارسون والباحثون، قديماً وحديثاً، العناية به، وكان الباعثُ عندهم هو «التيوصوفيا»^(*) التي استعادَ الحلاجُ وهجها، ووسعَ أفقها، إضافة إلى سيرته المملأى بالحوادث والمفارقات، وشخصيته ذات النزعة التحررية، ومآله الغرائبي.

كلّ هذا، وأشياء أخرى، كرسّت العناية بالحلاج، حتّى لا تكاد مدونة تاريخية تخلو من ذكره، وما صارَ إليه، ثمّ تَمَدّت العناية إلى الثقافة الشعبية الشفاهية، فقصدَ العامة تداول ما قرّ في المدونة التاريخية، حتّى بلغَ الحلاجُ الشيعوعة، وكانت النتيجة أن يتداخل الواقعي بالمخيل، وأن تدون في ما بعد سيرة أخرى.

يمكن القول: إنّ ما توافر من سير الحلاج الشعبية، ما هي إلاّ تدوين لشفاهي قام على أصل في المدونة التاريخية وتماد عنها، غير أن هذا الشفاهي قد وضع نسقاً مغايراً، ولغة ثانية، وحمولات ثقافية ومعرفية، تنتمي إلى عصر مختلف، وما يؤكد هذا القولُ الشعرُ الذي توافر في هذه السير سواء أكانَ فصيحاً أم عامياً، أو ابداعاً

(*) التيوصوفيا، أو التيوسوفيا: هي المعرفة الإلهية، أو الحكمة الإلهية.

بينه وبين ما توافر من نشرات بعنوان «قصة الحلاج»، كمنشرة لويس ماسينيون، وسعيد عبد الفتاح، ورضوان السح، ووجدتُ ثمَّ اختلافاً، وقد أخبرني أحد الأساتذة بتوافر نسخة أخرى في المكتبة الوطنية بطهران، وبقيت أنتظر هذه النسخة؛ لأرى مدى التطابق والاختلاف، غير أنَّ الموعد تأخَّر، وقد اقتربت الذكرى، وليس أمامي إلا أن أحقق ما بين يدي؛ إحياءً لقول أبي مُغيث: «هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك»

هذا، وقد تحصل الدكتور يوسف إسكندر على نسخة، وهي تتوافر في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في السعودية، محفوظة برقم ٤٣٨٥، وهي مجموع مؤلف من «قصة الحلاج» و«ملحمة الإمام علي»، غير أنها نسخة ناقصة. عدد أوراق المجموع: ٢٦. وعدد أوراق قصة الحلاج: ٢، تضم كلُّ واحدة صفحتين، والناسخ غير مذكور، ولا تاريخ النسخ، وقد جاءت بخط غير معتاد، وبقلم واحد، و [قال الراوي] بلون أحمر. عدد الأسطر: ١٩، وقياس الورق: ٢٢ x ١٦,٥.

في المنهج:

قصدتُ في هذه النشرة تصويب خطأ اللغة صرفاً ونحواً، مع مراعاة ما هو عامي، وقد وضعته بين معقوفتين، ووضعتُ في الهامش ما كان في الأصل، وأشرتُ للزيادة والنقص؛ بناءً على انسجام سياق النص، أو انسجام الوزن العروضي إن كان شعراً، كما قابلتُ بين ما توافر في النسخة من شعر وديوان الحلاج بتحقيق كامل مصطفى الشيبلي، ووضعتُ في مظنة الهامش نصَّ الديوان لمعاينة الاختلاف، وأشرتُ إلى نسبة بعض النصوص إن لم تكن للحلاج. هذا، وقد وضعتُ، في مظنة الهامش، ترجمة

الشخصيات، والتعريف بالمصطلحات، وإيضاحات رأيتُ أنها تضيء المتن، أو تعين على قراءته. وختاماً، أشكرُ لأستاذي الدكتور يوسف إسكندر عنايته بالتحقيق، وإشارته إلى نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وللأستاذ حسين محمد عجيل، فرصة الإسهام في ملفٍ عن الحلاج. والحمد لله أولاً وآخراً.

الرموز المستخدمة

[] معقوفتان.

- سقط أو نقص.

+ زيادة.

ذُكر، والله أعلم بغيبه وأحكم، فيما مضى وتقدم، وسلف من أحاديث الأمم، أنه كان في قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، على زمن الشيخ الجنيد (*) رحمه الله تعالى، امرأةً سالحةً من الصالحات لم ترزق ولداً ذكراً؛ فنذرت على قلبها إن جاءها ولدٌ ذكرٌ تهبه^(٥) إلى الشيخ الجنيد رحمه الله تعالى.

قال الراوي: وكانت المرأة حاملاً، فلما جاء أوانٌ وضعها وضعت ولداً ذكراً، فسَمَّته حسيناً، فربته وأحسن تربيته إلى أن كبر وصار، فقالت له: يا ولدي يا حسين اعلم أنني كنت حاملاً^(٦) بك ونذرت نذراً: أنني إذا وضعت ولداً ذكراً أهبه^(٧) إلى الشيخ الجنيد، وأجعله خادماً للفقراء (*). وأنا قد وضعتك

(*) هو الجنيد بن محمد، أبو القاسم الخزاز، أصله من نهاوند، ومولده ومنتشؤه العراق، وكان فقيهاً، وقد صحب السقطي، والمحاسبي، والقصاب البغدادي، توفي سنة ٢٩٧هـ، وكان يلقب بشيخ الطائفة. ينظر: أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ١٥٥.

(٥) في الأصل: توهبه.

(٦) في الأصل: حاملة.

(٧) في الأصل: أوهبه.

(*) ثمَّ ترادف، في المدونة الصوفية، بين اصطلاحى الفقراء والصوفية، ولا تعني التسمية ههنا الفقراء عامة. وما ورد في المدونة من خصائص للاصطلاحين،

وربّيتك أحسنَ تربية، وأريدُ أفي^(٨) ما نذرت، فما تقولُ في هذا الأمر؟. فقالَ لها: يا أمّاه افعلي ما تريدِين؛ فإنّي ليسَ أنا ممن يخالفُ والديه. فقامت وأخذت الولدَ، وسارت به إلى عند الشيخ الجنيد رحمه الله تعالى، وقالت له: يا شيخ، إنني كنتُ نذرت عليّ نذراً إن وضعت ولداً نكراً أهبه إلى الشيخ الجنيد، وأجعله خادماً للفقراء، وهو هذا الولد، وقد جئتُ أفي^(٩) ما نذرت، فاقبله مني، وعلمه كتاب الله تعالى. قالَ [الراوي]: فأخذهُ الشيخُ منها، وانصرفت إلى حالٍ سبيلها، فقالَ له الشيخُ: يا ولدي يا حسين اخدم الفقراءَ في الزاوية^(*) حتّى تنالَ الخيرَ. فقالَ له: السمع والطاعة لله ولكَ.

قالَ الراوي: وصارَ حسينٌ يخدمُ الزاويةَ، ويخدمُ الفقراءَ، ويكنسُ الخلوات والزاويةَ، ويملاً الأباريقَ، ويديرُ نعالَ الفقراءَ، ويرفعُ سجادةَ الشيخ وينفضُها، ويكنسُ تحتها، فمكثَ عند الشيخِ مدّةً من الزمانِ حتّى صارَ له قدرٌ وشأنٌ، وصارَ من الأولياءِ رضي الله عنه، فلم يزل على هذه الحال^(١٠) حتّى زادَ اللهُ له بالسعادةِ، وبدت له الولاية^(*).

فهي خصائص تراتبية، أي في دائرة التصوّف نفسها؛ كاصطلاح المتصوّف والصوفيّ، أو المريد والشيخ، أو العارف والصوفيّ، وكانَ أهل الشام قد اطلقوا تسمية الفقراء على الصوفيّة بمعزلٍ عن أية خصائص.

(٨) في الأصل: أوفي.

(٩) في الأصل: أوفي.

(*) الزاوية مكانٌ مكثُ الصوفيّة، يقيمون فيها عباداتهم وتعاليمهم وطقوسهم واعتكافهم، ولها تكأة لغوية وهي الركن من المكان، ولها تسميات أخرى في المدوّنة كالرباط والخانقاه، وقد ظهرت وترسخت مبكراً في حدود القرن الثالث الهجري.

(١٠) في الأصل: الحالة.

(*) الولاية تعني القرب، والولي هو القريب منزلةً من الله تعالى، وهي مقام يتحقّق به الصوفيّ. وللولاية مراتبٌ، وهذه المرتبة الأولى من الولاية ما بدت للحلاج في السفر

قال الراوي: فبينما الشيخُ الجنيدُ قاعد يوماً من بعض الأيامِ في الزاويةِ والفقراءُ حوله يسمعونَ ما يقولُ، وإذا قد نزلَ له ورقةٌ بالولاية من السماءِ، فوضعها تحت السجادةِ وقامَ حتّى يتوضّأ؛ حتّى لا يمسهَا إلّا على طهارةٍ؛ لأنّ فيها اسم الله الأعظم^(*).

قال [الراوي]: فلما خرجَ من الزاويةِ دخلَ حسينٌ - على جاري العادة - لأمرٍ يريده الله تعالى، وكنسَ الزاويةَ، ونفضَ السجادةَ، فوَقعتَ منها الورقةُ، فأخذها حسينٌ على حسب التبرّك، وبلعها، ولم يعلم ما فيها، فلما دخلَ الشيخُ فتشّ

الأول، وثمّ أسفار أخرى لا مندوحة عن ايضاحها ههنا. إنّ أول حركة في السلوك مغادرة منازل النفس، ثم يطوى مقام القلب وهو مبدأ التجليات الأسمائية، فيتم السفر الأول. وقد فسّر بالسفر [من الخلق إلى الحق]، أو من الكثرة إلى الوحدة، وفي نهاية هذا السلوك يقع الشطح، لغلبة الوحدة وفناء الصوفي في حال المحو، وهو مدار العشق والسكر، ويعود إليه ما روي عن أبي يزيد البسطامي: «سبحاني ما أعظم شاني». وقد نسب إليه أنه أول من تفوه بمصطلح [الفناء] على رأي نيكلسون. وكذا ما قاله الحلاج: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا». وهو منتمى كلّ تفوهات العشق والسكر والشطح. ثم إذا تجاوز الصوفيّ، مضى في السفر الثاني، ويُفسر بالسفر [بالحق في الحق]، أي التحقّق بالصفات والأسماء الإلهيتين، ويتمّ هذا السلوك في نهاية مقام الواحدية، ثم يسلك إلى مقام الأحدية في السفر الثالث، وهو ما يُفسر بالسفر [من الحق إلى الخلق بالحق]. ويقاربُ قرآنيّاً: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ النجم: ٥٣ / ٨، ٩، ثم يتمّ سفره الرابع والأخير، ويُفسر بالسفر [بالحق في الخلق]. وإليه يعود مصطلح [البقاء بعد الفناء]، و[الفرق بعد الجمع].

(*) الاسم في المدوّنة الصوفيّة هو الذات الإلهية مع الصفة، ويصطلح عليه بالاسم العرفاني، ولا يراد به لفظ الاسم ولا معناه، وإنما اللفظ والمعنى يدلان عليه، واسم الله هو الجامع للأسماء الحسنى كلّها، ولهذا يسمى بالاسم الأعظم، وفي هذا الضوء يقول الحلاج: «أسماء الله الحسنى من حيث الإدراك اسمٌ، ومن حيث الحق حقيقة». ينظر: طبقات الصوفيّة، السلمي، ص ٣٠٨.

عن^(١١) الورقة، فلم يجدها، فقال: يا فقراء من رأى [هون] ورقة فليردها عليّ. فلم يرد أحد عليه جواباً، فأراد أن يخوفهم حتى يردوها عليه، فقال: يا فقراء من رأى لي ورقة ولم يردها عليّ قطعت يداه ورجلاه، وصلب، وحرق، وذري رماده في الهواء. كل هذا وحسين واقف وهو يبكي، وقد التهاب قلبه بنور الحق جلّ جلاله، فلما كان ذلك نفذت دعوة الشيخ في حسين، فنظر إليه الشيخ فرأى أحواله تغيرت، وصار لا أحد يفهم له كلاماً، وصار يخلط ويشطح في الكلام زائداً وناقصاً، فقال له الشيخ: يا حسين ما الذي أصابك؟!، وما لحقك؟! فقال له: يا شيخي نعمة من جنباه أوقفنتي ببابه، وبشرتني بوصاله واقترابه، واستراح الفؤاد من هجره واحتجابه، وطاب لي ما سمعته في الدجى من لذيذ خطابه^(*). ثم إن حسينا بكى بكاءً شديداً حتى أغمي^(١٢) عليه، فلما أفاق أنشد يقول^(*):

ألا يا ليلُ محبوبي تجلى

ألا يا ليلُ للغفران أهلا

ألا يا ليلُ ما أبهى وأحلى

ألا يا ليلُ أكرمني وجلى

ولا طفني إلى^(١٣) أن صرت كهلا

(١١) في الأصل: على.

(*) ورد هذا النص في ديوان الحلاج على مجزوء الخفيف:

نسمة من جنباه أوقفنتي ببابه

جذبتني لوصله أبداً واقترابه

واستراح الفؤاد من هجره واحتجابه

طاب لي ما سمعته في الدجى من عتابه

وعلى كل حالة سكرتي من شرابه

ديوان الحلاج (تح: كامل مصطفى الشيباني)، منشورات

الجمال، بيروت ٢٠٠٧م، ص ١٠٨.

(١٢) في الأصل: غمي.

(*) هكذا ورد النص في الأصل، ولم أعثر، في حدود ما

طالعت، على مظهره في أعمال الحلاج.

(١٣) في الأصل: إلا.

ألا يا ليلُ وجدني قد براني

ألا يا ليلُ محبوبي دعاني

ألا يا ليلُ بالحضرة^(*) سقاني

ألا يا ليلُ من خمر الدنان^(١٤)

مداماً في كؤوس الحب تجلى

ألا يا ليلُ من شرب المداما

ألا يا ليلُ في الحضرة وهاماً

ألا يا ليلُ قد هجر^(١٥) المناما

ألا يا ليلُ إنني مستهام

وقتي في الهوى ما كان حلا^(١٦)

ألا يا ليلُ يكفيني سقامي

ألا يا ليلُ دمعي فاض عام^(١٧)

ألا يا ليلُ من عظم الغرام^(١٨)

ألا يا ليلُ زاد بي الهيام^(١٩)

شطح بسكرتي برّاً وسهلاً

ألا يا ليلُ للمولى رجال^(٢٠)

ألا يا ليلُ قرب الحق نالوا

ألا يا ليلُ قد كسبوا الجمال^(٢١)

ألا يا ليلُ قد صدقوا المقال^(٢٢)

تراهم رُغماً يبغون فضلاً

ألا يا ليلُ أقوام كرام^(٢٣)

ألا يا ليلُ قد شربوا فهاموا

(*) تقرأ [الحضرة] في مطبئة النص؛ لاستقامة الوزن.

(١٤) في الأصل: الدناني.

(١٥) في الأصل: هجروا.

(١٦) في الأصل: حالا.

(١٧) في الأصل: عامي.

(١٨) في الأصل: الغرامي.

(١٩) في الأصل: الهيامي.

(٢٠) في الأصل: رجالوا.

(٢١) في الأصل: الجمالوا.

(٢٢) في الأصل: المقالوا.

(٢٣) في الأصل: كراموا.

ألا يا ليلُ جنحِ الليلِ قاموا

ألا يا ليلُ قد كَثُرَتْ ذُنُوبِي

ألا يا ليلُ قد ظَهَرَتْ عيوبِي

ألا يا ليلُ زادَ بي النحيبُ

ألا يا ليلُ نادمني حبيبي

وقرّبني ولا عني تولى

ألا يا ليلُ لي قلبُ أسيرُ

ألا يا ليلُ لي وَجْدٌ كثيرُ

ألا يا ليلُ لي دمعُ غزيرُ

ألا يا ليلُ إنّي مُستجيرُ

بجاهِ المصطفى مَنْ نالَ فَضلاً

قال الراوي: فلما فرغَ حسينُ من شعره، قال

شيخه: يا حسين، أنت وصلت إلى هذه المنزلة؟.

إن كنت وصلت إليها فعليك بكتمان السرّ (*). فقال

له: يا شيخي مالي قوةٌ على كتمان السرّ. فقال له:

كيف ترى نورَ المحبوبِ في قلبك؟. فقال له: أرى

نوراً هامَ بي قلبي، فلم أرَ إلا ربي، فأخذ عقلي

مني، وقد سلّبني عني، ثم نظرتُ منه إليه فلم أرَ

الكونَ إلا هو (*). ثم إن حسينا أنشدَ يقول (*):

(*) كتمان السرّ أصل أصيل في السير العرفاني، ولا يجوز

عند الصوفيّة البوح بالأسرار، وقد يبوح الصوفي بالأسرار

حال المحو أو السكر في نهاية السفر الأول؛ لغلبة الوحدة

عليه، ويسمى بالشطح، ولذا قال الحلاج: «من أسكرته

أنوارُ التجريد، نطقَ عن حقائق التوحيد؛ لأنّ السكران

هو الذي ينطقُ بكلِّ مكتوم». إلا أنّ هذا الأمر نقضٌ في

نظر الصوفيّة المحققين، ولا يصدر عن عارفٍ كامل، ولهذا

اختلف الصوفية في الحلاج، وقد ذهب بعضهم إلى القول

بأنّ الحلاج لم يكن له قدم في التصوّف. ينظر: السلمي،

طبقات الصوفيّة، ص ٣٠٧، و ٣١١.

(*) إشارة إلى التوحيد الشهودي أو الوجودي، على

الاختلاف الجوهرى بينهما، إذ الصوفيّ يبلغ الوحدة،

وتكون الكثرة مستهلكة فيها، فلا يرى في الدار غيره دياراً

بناء على وحدة الشهود، وليس في الدار غيره ديار بناءً على

وحدة الوجود، وهذا ما يقصدُ إليه الصوفيّ في أسفاره، أو

١- طابَ السَّماعُ وهبّت النسماتُ

وتواجَدت في حانِها السّاداتُ

٢- سمِعوا بذكرِ حبيبِهِم فَتَهَتَّكوا

خلعوا العِذارَ ودارتِ الكاساتُ

٣- طَرَبوا فَطابَت باللُّقا أرواحُهُم

كتموا فباحَت منهمُ العبراتُ

٤- شَرَبوا بأقداحِ الصِّفا لَمّا صَفّوا

سكروا فلاحتَ منهمُ حالاتُ

٥- ظَهَرَت عليهمُ من بواطنِ سِرهم

نفحاتُ سرِّ كلِّها راحاتُ

٦- هَطَلت مدامعُهُم على وجناتِهِم

وتصاعدت من شوقِهِم زَفراتُ

كما يقول ابن عربي: «هكذا التوحيدُ فاعتبروا ... واحدٌ في واحدٍ أحدٌ». الفتوحات المكية، محيي الدين بن العربي (تح: عبد العزيز سلطان المنصوب)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠١٧م، ج ٥، ص ٥١٨.

(*) هكذا ورد النصُّ في الأصل، غير أنّ ثمَّ اختلافاً عمّا ورد في ديوان الحلاج، وثمة زيادة بيتين في الأصل، وهما:

٨- نَشَرَت عليهمُ مِنْ مجالِسِ ذكْرهم

نِعَمٌ وطابتَ منهمُ الأوقاتُ

١٠- والذَّهرُ يمضي في رضاهمُ راحةً

ويحقّ فيهم طابَت الرّاحاتُ

وسأضع النصّ في الديوان كاملاً؛ لمعينة الاختلاف:

طابَ السَّماعُ وهبّت النسماتُ

وتواجَدت في حانِها السّاداتُ

سمِعوا بذكرِ حبيبِهِم فَتَهَتَّكوا

خلعوا العِذارَ ودارتِ الكاساتُ

طَرَبوا فَطابَت باللُّقا أرواحُهُم

كتموا فباحَت منهمُ حالاتُ

شَرَبوا بأقداحِ الصِّفا لَمّا صَفّوا

سكروا فلاحتَ منهمُ رقصاتُ

ظَهَرَت عليهمُ من بواطنِ سِرهم

كاساتُ بشرِ كلِّها راحاتُ

هَطَلت مدامعُهُم على وجناتِهِم

وتصاعدت من شوقِهِ زَفراتُ

زادَ الغرامُ بهم وفي أحشائِهِم

نار وفي أكبادِهِم جمراتُ

٧- زادَ الغرامُ وفي حشاهمُ جمرَةً

شوقاً إليه بقلبيهم زَفراتُ

٨- نَشَرَتِ عليهمَ مِنْ مجالسِ ذكْرهم

نِعْمٌ وطابتَ منهمُ الأوقاتُ

٩- فتعطّرتَ رِيحُ الصِّبا مِنْ عطرهم

وسرتَ بنشرِ روايحِ نَفحاتُ

١٠- والدَّهرُ يمضي في رضاهمُ راحةً

ويحُقُّ فيهم طابتِ الرّاحاتُ

قال الراوي: فلما فرغ حسينٌ من شعره، صارَ يشطحُ ويزيدُ في الكلامِ زائداً وناقصاً، وقد غرِقَ في بحرِ الودادِ، فصارَ الشيخُ يرسله إلى السوقِ بالدرهم ليشترى^(٢٤) إلى الفقراءِ ما يحتاجونه، فلما يقف على السوقِ يقول له: ما تريد يا حسين؟ فيقول: لا إله إلا الله، ما أريدُ إلاّ الله. وهو يشطحُ في كلامه، ويظنون أنّ [في] كلامه لحناً، وتبديلاً، وكفراً، وصارَ يبكي بكاءً شديداً، وهو ينشدُ ويقولُ شعراً^(*):

١- يا عوضي عن عوضي

وصحّتي في مَرضي

٢- يا مَنْ هواهُ دائماً

في مُهجّتي لا يَنْقضي

٣- هَيِّمَتَ قلبي مالكي

والقلبُ بالفعلِ رضي

فتعطرت ریح الصبا من عطرهم

وسرت بنشرِ روائِحِ نَفحاتُ

ديوان الحلاج (تح: كامل مصطفى الشيبلي)، منشورات

الجمال، بيروت، ص ١١٠-١١١.

(٢٤) في الأصل: ليشتر.

(*) هكذا ورد في الأصل على مجزوء الكامل، وقد ورد في

ديوان الحلاج على اختلاف:

يا عوضي من عوضي

يا مَنْ هواهُ دائماً

وصحّتي من مَرضي

في مُهجّتي لا يَنْقضي

والقلبُ بالقفلِ رضي

قلبي بذكراك رضي

يا عوضي من عوضي

يا مَنْ هواهُ دائماً

هَيِّمَتَ قلبي سيدي

أفنيّتي أضنيّتي

٤- وقد رَضِيْتُ بما قُضي

روحي فداهُ إن رَضِي

قال الراوي: فلما فرغَ حسينٌ من شعره، قامت

أهلُ بغداد إلى الشيخِ الجنيدِ، واجتمعوا عنده،

وقالوا: يا شيخ، اعلم أنّ مريدكَ حسيناً قد أتعبنا

وهو يشطحُ ويتكلم^(٢٥) بكلامٍ لم يدخل في العقل،

ولا في البال، وقد أشغلنا عن بيعنا وشرانا، وأوقف

حالتنا، فنسألكَ أن تردّه عنا. فقال لهم الشيخُ:

انصرفوا فإذا حضرَ أنا أدبه. فما مضت ساعةٌ

إلاّ وحسينٌ حضرَ بين يديّ الشيخِ، فقال له: يا

حسين، ما هذا الحال! اعلم أنّ أهلَ بغداد قد أتوا

عندي، وشكّوا منكَ ومن شطحكَ، ومن كثر كلامك،

وقد أتعبتني وأتعبت نفسك، فارجعَ عما أنتَ

فيه، ولا ترمِ^(٢٦) روحكَ في الهوان، فيقطعون^(٢٧)

منك الأوصالَ، ويعذبونك بأشدّ العذاب. فقال له:

التعذيبُ طيبٌ في رضا الحبيب. ثم إن حسيناً

أنشد يقول شعراً^(*):

١- غَفَلت وحادي الموتِ في طلبي يَجِدُ

وإن لم أمت يوماً فلا بدّ ما أَعْدو

٢- أرى^(٢٨) العَمَرَ قد ولى ولم أبلغِ المُنَى

وليسَ معي زادٌ وفي سفري بعدُ^(*)

ديوان الحلاج (تح: كامل مصطفى الشيبلي)، منشورات

الجمال، بيروت، ص ١٢٦.

(٢٥) في الأصل: يكلم.

(٢٦) في الأصل: لا ترمي.

(٢٧) في الأصل: فيقطعوا.

(*) القصيدة تُنسب لبكر بن حَماد القيرواني، شاعر

مغربي ولد في مدينة تاهرت حوالي سنة ٢٠٠ هـ.

(٢٨) في الأصل: أر.

(*) هذه إشارة إلى السفر الثاني [في الحقّ إلى الحقّ]،

وهو سفرٌ غير متناهٍ، وفيه ورد قول الإمام علي بن أبي

طالب (*): «أه من قَلّة الزّاد، وطُول الطّريق، وبعُد

السّفر، وعَظِيم المَؤرِد!». ينظر: نهج البلاغة (تح: صبحي

الصالح)، أنوار الهدى، إيران ١٤٢٩ هـ، ص ٦١٢.

١٥- أنا الفردُ عند الموتِ [في القبرِ و البلى] (٣٨)
وأبعثُ فرداً فارحم الفردَ يا فردُ
١٦- سألتُ إلهَ العرشِ يغفرَ زلَّتِي
إلهُ لهُ الإكرامُ والجودُ والحمدُ
١٧- ومالي شفيعٌ غيرِ جاهِ محمدٍ
ومَن جاهُهُ في الحشرِ ليسَ لهُ ردُّ
١٨- عليه صلاةُ الله ما لاحَ بارقُ
وما هطلت سحُبٌ وما قَهَقَه الرعدُ
قالَ الراوي: فلما فرغَ حسينٌ من شعره
وكلامه، تركَ شيخه وسارَ وهو يشطخُ، وزادَ وقد
غرقَ في بحرِ الودادِ، فالتَمَّتْ أهلُ بغداد، و[أجوا]
إلى الشيخِ الجنيدِ، رضي الله عنه، وقالوا: يا سيدي
الشيخ، لقد زادَ مريدكَ حسينٌ في الكلام، ولا بقي
لنا عليه صبرٌ، ولا احتمالٌ. فقالَ لهم الشيخُ:
أمسكوه حتَّى أحبسَه في مخزنِ القطنِ غداً، وحتَّى
أدبرَ فيه أمراً، إمَّا أن يرجعَ عمَّا هو فيه وعن
مقاله، وإمَّا نشغله بقطعِ أوصاله. فجاؤوا إليه،
واستجمعوا وقبضوا عليه، وأدخلوه إلى مخزنِ
القطنِ، فبكى بكاءً شديداً، وأنشدَ يقول شعراً (*):
١- يَظنُّونَ أنَّ الحَبَّ هزلٌ (٣٩) بلا جدِّ
وما ذاكُ إلَّا وصفُ زائدُ الحدِّ
٢- وما عَليقتِ نارُ الهوى بِمُتيمِّمِ
بذا الحَبِّ إلَّا لا يعيدُ ولا يبدي
٣- أقلُّ الهوى ما يُنسي الصَّبَّ اسمَهُ
وأيسره نارُ تُضرمُ بالوقدِ
٤- وأوسطُهُ نارُ الغَرامِ تَسعِرا
إذا ما مضى جلدُ تَبَدَّلَ [بالجلدِ] (٤٠)

(٣٨) في الأصل: والقبر في البلا.
(*) القصيدة لأبي بكر بن فتيان الفراتي الحسيني، شاعر
موصلي الأصل دمشقي المنشأ، توفي سنة ٦٤٢هـ، وله
ديوان مخطوط.
(٣٩) في الأصل: هزلا.
(٤٠) في الأصل: لي جلد.

٣- فوا أسفي لو كان يُغني تأسفي
وواه، [ووا وجداه] (٣٩) لو ينفخُ الوجدُ
٤- على موتِ مثلي وهو خالٍ مِنَ التَّقوى
وليسَ معي تقوى (٣٠) وليسَ معي زهدُ
٥- أنعمَ جسمي بالثيابِ ولينها
وليسَ لجسمي من ثيابِ [البلى بدُّ] (٣١)
٦- كأني وقد مُدِّدتُ في برزخِ البلى (٣٢)
ومن فوقِي رَدْمٌ ومن تحتِي اللحدُ
٧- وقد مُحيت تلكَ المحاسنُ كلَّها
ولم يبقَ فوقَ العظمِ لحمٌ ولا جلدُ
٨- فَو اللهِ لم أخش (٣٣) لشيءٍ سوى البلى
وقد جاءَ من ربِّي وعيدٌ وجا وعدُ
٩- لقد كانَ لي (٣٤) بالموتِ وعظٌّ وبالبلَى
وقد غابَ عني (٣٥) الأهلُ وانقلبَ الرشدُ
١٠- وقد كنتُ لله المهيمِنَ عاصياً
[وأحدثتُ أحداثاً] (٣٦) وليسَ لها ردُّ
١١- وأرخيتُ وقتَ الليلِ سترًا من الجفا
ولم أخشَ من سرِّ غدا عنده يبدو
١٢- عسى غافِرُ الزلاتِ يغفرُ (٣٧) زلَّتِي
وقد يغفرُ المولى إذا أذنبَ العبدُ
١٣- إلهي ترى نفسي وقلَّةَ صبرها
إذا لاحَ ضوءُ البرقي أو سَبَّحَ الرعدُ
١٤- فكيفَ إذا أحرقتَ بالنَّارِ مُهجتي
وناركَ لا يقوى لها الحَجَرُ الصلْدُ

(٣٩) في الأصل: ووجداه.

(٣٠) في الأصل: تقواي.

(٣١) في الأصل: البلايد.

(٣٢) في الأصل: البلا.

(٣٣) في الأصل: أخشى.

(٣٤) في الأصل: لنا.

(٣٥) في الأصل: عنا.

(٣٦) في الأصل: أحدث أحداث.

(٣٧) في الأصل: + لي.

فتعجبَ الناسُ في ذلكَ غايةَ العجبِ، فقالوا له يا حسين: أأنتَ صنَعْتَك حلاجٌ حتَّى حلجتَ هذا كَلِّه في ليلةٍ واحدةٍ؟! فلما سمعَ منهم هذا الكلامَ أنشدَ يقولُ هذا الكلامَ الحسنَ الظريفَ رضي الله عنه:

- ١- أنا حسين الحلاج [إيش] تنكرون من حالي
 - ٢- أنا حلجتُ قطني بالذكرِ والقرآنِ^(٤٤)
 - ٣- أنا عبدٌ ربِّي صدقاً بلا محال
 - ٤- أنا قضيتُ عمري في خدمةِ الديّانِ^(٤٥)
 - ٥- أنا فتى في قتلي سبعون^(٤٦) طليسان
 - ٦- كلهم معاذير ما شاهدوا المعاني
 - ٧- أنا عبدٌ ربِّي في ظلمةِ الليالي
 - ٨- في حبِّ ربِّي قد صرتُ ثابتَ الجنانِ
 - ٩- أنا فتَحَ لي البابَ بفضله دعاني
 - ١٠- بفضله سترني وعفوه غطّاني
 - ١١- يا الله يا إخواني سلوه عسى يرضاني
 - ١٢- إن كان ما يرضاني جدت فيه أحزاني
- قالَ الراوي: فلما فرغَ حسينٌ من شعره، قالوا له: قُمْ معنا إلى شيخك الجديد؛ فإن رجعتَ عمّا أنتَ فيه، وإلا قطعنا منك الأوصالَ. فسارَ معهم حتَّى وصلَ إلى عند شيخه. فقامَ له شيخه وعانقه، وبكى بكاءً شديداً، فأنشدَ حسينٌ يقول هذه الأبيات^(*):

- ١- سَقُونِي وَقَالُوا لَا تُغْنُ^(٤٧) وَلَوْ سَقُوا
- جِبَالَ حُنَيْنٍ لَوْ سَقَوْهَا لَغْنَتْ^(٤٨)

(٤٤) في الأصل: القرآني.
(٤٥) في الأصل: الدياني.
(٤٦) في الأصل: سبعين.
(*) لم يرد سوى مطلع النصّ في ديوان الحلاج، وهو:
سَقُونِي وَقَالُوا: لَا تُغْنُ، وَلَوْ سَقُوا جِبَالَ حُنَيْنٍ مَا
سُقِيَتْ لَغْنَتْ
ديوان الحلاج (تح: كامل مصطفى الشيباني)، منشورات
الجملة، بيروت، ص ١١١.
(٤٧) في الأصل: لا تغني.
(٤٨) في الأصل: لغنتي.

- ٥- وكلّ وداٍ لا يكونُ مُسرَمداً
 - إلى [يومِ ميعادِ الوري] ^(٤١) ليس بالودِ
 - ٦- فكم ليلةٍ قد نلتها في ظلامها
 - أنادمُ أنفاساً ألد من الشهدِ
 - ٧- وكم ليلةٍ في الحبِّ سكرانُ هايمٌ
 - بحبي وقلبي هو ^(٤٢) مقيمٌ على العهدِ
 - ٨- تطوفُ علينا حَمْرَةٌ معنويّةٌ
 - مؤيدةٌ جَلَّتْ عن الكيفِ والحدِّ
 - ٩- وما ذاكَ إلاّ أنّها بعنايةٍ
 - مُعظّمةٍ بالعزِّ سابقه السَّعدِ
- قالَ الراوي: فلما فرغَ حسينٌ من شعره وكلامه، بكى بكاءً شديداً، وباتَ في مخزنِ القطنِ وهو واقفٌ على أقدامه إلى الصباح؛ ساعةً يقرأُ القرآنَ، وساعةً يذكرُ الله تعالى، وساعةً ينشدُ الأشعارَ ويبكي بدموعٍ غزارٍ، فعند ذلكَ أنشدَ يقول:

- ١- يا كراماً بوصيلهم جبروني
- وبألطافِ فضيلهم عمروني
- ٢- مَنعوني الرُّقادَ في الليلِ لما
- علّقوا حبهم بقلبي سبوني
- ٣- أنا عبدٌ لهم على كلِّ حالٍ^(٤٣)
- خاضعاً خاشعاً لهم خَلَقُونِي
- ٤- فارغُ القلبِ من سواهم عسى هم
- عبدٌ رَقُّ ببابهم قعدوني
- ٥- هم دَعَوْنِي إِلَيْهِمْ بِرِضَاهُمْ

وَحَمَوْنِي عَنْ غَيْرِهِمْ وَهَدَوْنِي
قالَ الراوي: فلما فرغَ حسينٌ من شعره، صبروا عليه، حتَّى أصبحَ الصباحُ ودخلوا إليه، فوجدوا كلَّ القطنِ مخلوجاً مندوفاً، القطنِ في ناحية، والحبِّ في ناحية، وكانَ في المخزنِ قطنٌ كثيرٌ،

(٤١) في الأصل: ميعاد يوم الوري.

(٤٢) في الأصل: هوى.

(٤٣) في الأصل: حالة.

خذني معك. فطارَ هو والمنديل ولم يبقَ له أثرٌ، ولا خبرٌ، إلى مدّة سنةٍ كاملةٍ، فبقي أهلُ بغداد والناسُ متعجبين من هذا الأمرِ!. فقالت الناسُ: الحمد لله^(٥٨)، راح عنا حسينٌ، واسترحنا منه، وأكلته الوحوشُ في البراري والجبال.

فبينما الناس في هذا الكلام، وإذا الحسين الحلاج قد أقبلَ ودخلَ من بابِ بغداد، وهو يقول: لا إله إلا الله، ما يدوم إلا الله، يا قوم: اذكروا الله، يا قوم: وحدوا الله، يا قوم قولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فلم تزل الناس خلفه، وهم يكتبون ما يقول حتّى وصلَ إلى الشيخ الجنيد رضي الله عنه، فلما نظرَ إلى شيخه بكى بكاءً شديداً، وأنشد حسينٌ يقولُ هذه الأبيات^(*):

(٥٨) في الأصل: + الذي.
(* هكذا ورد في الأصل، وثمَّ اختلافٌ عمّا ورد في ديوان الحلاج، وسأضع نصَّ الديوان كاملاً؛ لمعاينة الاختلاف:
قل لمن يبكي علينا حزناً:

إفرحوا لي قد بلغنا الوطننا
إنّ موتي هو حياتي إنني
أنظر الله جهاراً علنا
من بنى لي دارٌ في دنيا البقا
ليس يبني دارٌ في دنيا الفنا؟!
إنما الموت عليكم راصدٌ
سوف ينقلكم جميعاً من هنا
أنا عصفور وهذا قفصي

كان سجنى وقميصي كفنا
فاشكروا الله الذي خلصنا
وبنى لي في المعالي مسكنا
فافهموا قولي ففيه نبأ
أي معنى تحت قولي كمننا
وقميصي قطعوه قطعاً
ودعوا الكل دفيناً زمنا
لا أرى روعي إلا أنتم

واعتقادي إنكم أنتم أنا
ديوان الحلاج (تح: كامل مصطفى الشيبلي)، منشورات
الجمال، بيروت، ص ١٣٩ - ١٤٠.

٢- جبالٌ حنينٌ لم تكن تعرفُ الهوى

ولو [أنّها عرفت] ^(٤٩) لكانت غنّت ^(٥٠)

٣- حرّمت الرّضا إن كنتُ بعدَ حديثكم

معتٌ بأذني ما حلا لي فصمت ^(٥١)

٤- وإني لأبكي العينَ في ضلّ منزلي

على طيبِ أوقاتٍ مضت وتولّت ^(٥٢)

٥- أيا سادتي لولا أخافُ عليكم

زفرتُ فأحرقتُ الخيامَ بزفرتي

٦- ولولا ^(٥٣) مراعاةُ الخيامِ وأهلها

قطعتُ طريقَ السالكينَ بعبرتي

٧- وسجّادتي زهرُ الربيعِ وروضتي

وسبغُ المثاني والمثاني سبحتي

٨- ومجنونٌ ليلي مات في الحبِّ واجداً ^(٥٤)

ولي في هواها في الدجى لي وجدتي

٩- فيا أيها العاصي الذي ضاعَ عمره

وفرطَ في الأيامِ حتّى تولّت ^(٥٥)

١٠- إذا كنتَ تهوى القومَ فاهجرُ سواهمُ

وبادرِ إلى بابِ الحبيبِ بسُرعةٍ ^(٥٦)

١١- وسلِّ الرضا والعفو عمّا مضى تجدُ

رحيماً غفّارَ الذنبِ والخطيئةِ ^(٥٧)

قال الراوي: فلما فرغَ حسينٌ من شعره، ناوله الشيخُ منديله، وقالَ له الشيخُ: خذ هذا المنديلَ يا حسين. فأخذه في الهواءِ وحذفه، وقال: يا منديل

(٤٩) في الأصل: انهم عرفوا.

(٥٠) في الأصل: غنتي.

(٥١) في الأصل: صمتي.

(٥٢) في الأصل: تولتي.

(٥٣) في الأصل: + أخاف.

(٥٤) في الأصل: واحد.

(٥٥) في الأصل: تولتي.

(٥٦) في الأصل: سرعتي.

(٥٧) في الأصل: الخطيئة.

- ١٥- فاهدموا بيتي ورضوا ثقتي
وذروا الكل يقينا بيينا
- ١٦- قد ترحلت وقد خلفتكم
ليس أرضي^(٦٤) داركم لي وطننا
- ١٧- لا تظنوا الموت موتاً إنّه
لحياة فهو غاية المنى
- ١٨- أخبرتنا الدار يوماً عنهم
فإذا ما مت طار الوثنا
- ١٩- لا تكن^(٦٥) في هجمة الموت فزع
إنما هي انتقال من هنا^(٦٦)
- ٢٠- وخذوا^(٦٧) في الزاد حملاً واثقاً
ليس بالعاقل منّا من وني
- ٢١- واحسنوا^(٦٨) الظن برب راحم
يشكر السعي وتأتوا أمانا
- ٢٢- ما أرى نفسي إلا أنتم
واعتقادي أنكم أنتم أنا
- ٢٣- عنصر الأمان منّا واحد
وكذا الجسم جميعاً معنا
- ٢٤- فمتى ما^(٦٩) كان خيراً فلنا
ومتى ما^(٧٠) كان شراً فبنا
- ٢٥- أسأل الله لنفسي راحة
رحم الله صديقاً^(٧١) أمانا
- ٢٦- وسلام الله عليكم دائماً
بسلا من محب^(٧٢) وثنا

- ١- قل لأخواني رأوني ميتاً
فبكوا لي ورثوا لي حزنا
- ٢- أتظنون بأني ميت
ليس ذاك الميت والله أنا
- ٣- أنا في صون وهذا جسدي
كان بيتي وقميصي زمنا
- ٤- أنا كنز وحجابي مطلب
من تراب قد تخلى للفنا
- ٥- أنا دُرّ قد حواه صدق
كان سجن فألفت السجنا
- ٦- أنا عُصفور وهذا قفصي
طرت منه وتركته رهنا
- ٧- أحمد الله الذي خلصني^(٥٩)
وبنى لي في المعالي وطننا
- ٨- كنت قبل اليوم ميتاً^(٦٠) بينكم
فحييت إن^(٦١) خلعت الكفنا
- ٩- وأنا اليوم أناجي ملاً
وأرى الله جهاراً علنا
- ١٠- عاكفاً في اللوح أقرأ وأرى
كل ما كان ويأتي ودنا
- ١١- يا قريب يا مجيب اهدني
من سواك أنت كريم مُحسنا
- ١٢- وطعامي وشرابي واحد
فافهموه فهو رمز حسنا
- ١٣- ليس قمراً سائغاً أو عسلاً
لا^(٦٢) ولا ماء ولكن لبنا
- ١٤- فافهموا السرّ ففيه نبأ
من معانٍ^(٦٣) تحت لفظ كمننا

(٦٤) في الأصل: أرض.

(٦٥) في الأصل: لتكن.

(٦٦) في الأصل: + إلى هنا.

(٦٧) في الأصل: وخذ.

(٦٨) في الأصل: واحسن.

(٦٩) في الأصل: - ما.

(٧٠) في الأصل: - ما.

(٧١) في الأصل: + كان.

(٧٢) في الأصل: + خالص.

(٥٩) في الأصل: + منه.

(٦٠) في الأصل: ميت.

(٦١) في الأصل: اني.

(٦٢) في الأصل: + ما.

(٦٣) في الأصل: معاني.

١- أدر الكاساتِ في جُنحِ الظلامِ
 واسقني من خمرٍ تشفي السقامِ
 ٢- خمرٌ في دنّها قد عتقت

قد سقياها كلُّ صبِّ مُستهامِ
قال الراوي: فلما فرغ من شعره، قام وأذن العشاء، وصلى بالمحائبس، وجلس يذكر الله وهم يذكرون معه، إذ أصبح الصباح فقام وصلى بهم صلاة الصبح، فلما فرغ من صلاته قام وخط في أرض السجن خطأ، وعمل فيه صفات مَرَكَبٍ، وقام وجلس وسطه، وقال لهم: يا فقراء من أراد منكم أن يطلب النجاة لنفسه، ولخلانه، فليقم يجلس معي في هذا المَرَكَب؛ فإنّه مَرَكَبُ النجاة. فعند ذلك قامت المحائبس، وجلسوا معه في وسط المَرَكَب، فقام وقال لهم: يا فقراء حرّكوا مَرَكَبكم بذكر الله تعالى، واذكروا بالصدق والمحبة، وقولوا كلّم معي عدلاً مخلصاً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. فلما رفعوا أصواتهم بذكر الله، وإذا بذلك الخط قد تحرّك، وصار مَرَكَباً عظيماً، وقد صار في وسط البحر، فقال لهم: يا قوم داوموا على ذكر الله تعالى. فقام وفرّ من المَرَكَب، وصار واقفاً على وجه الماء، وصار يجري المَرَكَب خلفه حتى أوصله إلى البرّ، فعند ذلك نزلهم من المَرَكَب، وقال لهم: سيروا إلى حال سبيلكم. فراح كلُّ واحدٍ إلى حال سبيله، وقام حسين وتمشى، ودخل من باب بغداد وهو يقول: يا قوم ظننتم أنكم فرقتم بيني^(٧٣) وبين حبيبي، وزعمتم أنه قد فاتني منه نصيبي، أما علمتم أنه معي في حضرتي ومغيبي؟ إن غبت فهو حبيبي، وإن حضرت فهو قريبي، وإن دعوته فهو مجيبي، وإن مرضت فهو طبيبي. وبكى بكاءً شديداً، وأنشد يقول شعراً:

(٧٣) في الأصل: بين.

قال الراوي: فلما فرغ حسين الحلاج من شعره، وسمع منه شيخه هذا الشعر، دهش عقله، وطار لبّه، وقال له شيخه: يا ولدي حسين، أنت وصلت لهذا المقام والمنزلة؟ فقال له: نعم، ببركة الله ورسوله وبركتك يا شيخي. وقام وسار وهو يشطح ويتكلم زائداً وناقصاً، فأتى أهل بغداد إلى الشيخ وقالوا له: يا شيخ قد أتعبنا مريدك حسين، وقد شغلنا عن بيعنا وشرانا. فقال لهم الشيخ: أمسكوه واحبسوه إلى غد حتى ننظر ما يكون من أمره؛ إمّا أن يرجع عمّا هو فيه، وإمّا أن ينفذ فيه حكم الله. فقالوا له: يا شيخ، نحن ما نقدر نمسكه. فقال لهم: ولم ذلك؟ فقالوا يا شيخ: هذا ساعة يمشي، وساعة يطير في الهواء. فقال لهم الشيخ: قولوا له: يقول لك شيخك: ادخل في هذا المكان؛ فإنّه يدخل. فجاؤوا إليه وأخذوه، وأتوا به إلى باب السجن، وقالوا له: يا حسين، شيخك يقول لك ادخل إلى هذا السجن.

فلما سمع بذكر شيخه قام ودخل إلى السجن، فقفوا عليه الأبواب، وساروا وخلّوه، فلما دخل إلى داخل السجن رأى فيه خلقاً كثيراً، فلما رآهم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير. معاشر المحائبس، ما حبسكم إلا ذنوبكم، وغفلة قلوبكم، وقدر شغلكم ورغبتكم في هذه الدنيا الدنية عن سيدكم ومحبوبكم، فلو رجعتم بقلوبكم إليه لبيكتم بعيونكم عليه، كان جعل لكم من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ولكن اسمعوا مني ما أقول إن كان لكم عقول وإلا قعادكم في هذا السجن يطول.

فعند ذلك قامت المحائبس، وجلسوا حوله، فقام، وبكى بكاءً شديداً، وأنشد يقول شعراً:

مذاهب^(*). فقال لهم: أنا ما كذبتَه في المقال، ما كذبتَه إلا في الكلام، فلو قال: الله أكبر، بصدق الإشارة ما حملته هذه المنارة، ولتفتت من تحت أقدامه الحجارة. وانتشرَ منهم وهربَ، فلحقوه، فهربَ ودخلَ مدرسةً، فقفلوا عليه أبوابها، ومضوا إلى الخليفة، وأعلموه بذلك، وقالوا له: اعلم يا خليفة الله في أرضه أنَّ حسيناً الحلاج قد كانَ غائباً، وجاءَ فقالَ المؤذن: الله أكبر، فقال له حسينٌ: تكذب!. وما يكذبُ المؤذنُ إلا مَنْ كفرَ وحلَّ هرقُ دمه. فقال لهم الخليفة: أين هو؟، أمسكوه. فقالوا له: حبسناه في المدرسة، ويكون تحت علمك الشريف. فلما سمعَ الخليفةَ هذا الكلامَ، قامَ وهو ممتزجٌ بالغضبِ، وسارَ وإياهم، ولم يزالوا سائرين والخليفة معهم إلى أن وصلوا إلى المدرسة، فوجدوا حسيناً قد خرج منها، وقد كبرَ حتى ما بقي يسعه مكانٌ، فما استَجراً أحدٌ أن يتقدمَ إليه من خوفهم منه، ومن الهيبة التي عليه، فتركوه، وساروا وخلَّوه، فلما أصبحَ الله بالصبح [أجوا] إليه وهو يبكي بكاءً شديداً، فلما رآهم أنشدَ يقول:

١- حُذِّ القنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا
وَحُذِّ [نصيبك]^(٧٨) مِنْهَا رَاحَةَ الْبَدَنِ

٢- وَقُلْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
هَلْ رَاحَ مِنْهَا سِوَى الْبَقُطَيْنِ وَالْكَفْنِ
قال الراوي: فلما فرغَ حسينٌ من شعره، سارَ وتركهم ولم يقدرُوا عليه، وغابَ عنهم مدَّة ثلاثة أيامٍ، فجاءَ ودخلَ مِنْ بابِ بغداد، فوجدوه على صورته الأولى، فقاموا إليه ومسكوه، وكتفوه، فلما رأى روحَه قدامَ الخليفةِ وهو مكشوف

(*) الأربعة مذاهب على سبيل الشيعة لا الحصر، وهي: المذهب المالكي، والشافعي، والحنبلي، ومذهب أبي حنيفة النعمان.

(٧٨) في الأصل: لبدنك.

١- تجلَّى لي المحبُوبُ في القلبِ أخلاه
عن الغيرِ حتى صارَ قلبي مثواه
٢- وقربني سرّاً والقلبُ قد هداه
وأولاني التوفيقَ مولى هو الله
٣- وفكَّ ختاماً عن دنان^(٧٤) مُدامها
نُجومٌ وأقمارٌ وشمسٌ ومَحياءُ^(٧٥)
٤- وناولني كأساً كأنَّ شعاعه
كبرقٍ ولا برقٍ يحاكي مَحياءه
٥- سقاني مَنْ أهوى كاساتِ حبه
شرباً قديماً فذقنا جلاً معناه
٦- فأسكرني ذاك المُدامُ فلذَّ لي
خطابَ الذي أهوى بقولي [ياه]^(*)
٧- وشاهدتُ مَنْ أهواه^(٧٦) في حالٍ سكرتي
فمحموي إثباتي وصحوي معناه
٨- فغبتُ عن الأكوانِ شغلاً بحبه
ومَنْ كانَ ذو صدقٍ يفوزُ بلقياه
٩- فكمُ من رجالٍ شاهدوه فأصبحوا
هياماً سكارى كلُّ مَنْ كانَ يهواه
قال الراوي: فلما فرغَ حسينٌ من شعره، وإذا بالمؤذن قد قال: الله أكبر، الله أكبر. فقال له حسينٌ: تكذب!. فلما سمعوه الناسُ أنَّه قد كذَّبَ المؤذنُ قاموا إليه ومسكوه، وقد هموا بقتله، وقالوا له: [إيش] هذا الكلام الذي قلتَه؟!، لا يكذبُ المؤذنُ إلا مَنْ كفرَ، وحلَّ هرقُ دمه في الأربعة^(٧٧)

(٧٤) في الأصل: دناني.

(٧٥) في الأصل: وحياء.

(*) أي: يا [هو]، وقد جاءت طبقَ النطقِ بوصفها ذكراً، وليسَ لضرورة النظم فقط.

(٧٦) في الأصل: أهوى.

(٧٧) في الأصل: الأربع.

الرأس، مكتف، برك وباس الأرض، وسلّم على أمير المؤمنين، وبكى بكاءً شديداً، وأنشد يقول:

١- لما ذكرتُ عذاب النارِ أزعجني

ذاك التذكُّرُ عن أهلي وأوطاني

٢- وصرتُ في القفرِ أرعى الوحشَ مُنفرداً

كما تراني على وجدي وأحزاني

٣- وذا قليلٌ على مثلي لجُرمته

فما عصى اللهَ عبدٌ مثلَ عصياني

٤- نادوا عليّ وقولوا في مجالسكم

هذا المسيءُ وهذا المذنبُ الجاني

قال الراوي: فلما فرغَ حسينٌ من شعره، قالَ

له الخليفةُ: يا حسين، إن أهلَ بغدادِ وعلماءها

يريدون مناظرتك، ومجادلتك، فقالَ له: حباً

وكرامةً. فأرسل الخليفةُ خلفهم، وأحضرهم،

وأكرمهم غايةَ الإكرام، وقالَ لهم: هذا حسينٌ قد

أحضرناه بين أيديكم، فما تقولون فيه؟ قالَ له

العلماءُ: يا حسين، أنتَ تكذبُ المؤذنَ، فما يكون

عندك في هذا الكلامِ؟ وما يكذبُ المؤذنُ إلا مَنْ كفرَ

وحلَّ هرقُ دمه، فما تقول في هذا الأمرِ؟ فقالَ لهم:

لا تخذلوني بكلامكم.

فقالوا له: بين لنا ذلك؟. فقالَ لهم: احفروا لي في

هذا المكانِ حفيرةً، واملئوها بالفحمِ والنَّارِ، وأنا

أبينُّ لكم ذلك. فقاموا في الحالِ وحفروا له حفيرةً،

واملئوها بالفحمِ، واطلقوا فيها النَّارَ حتَّى صارَ

جمراً، فقالَ حسينٌ: أحضروا لي أميرَ المؤمنين.

فحضرَ، فقالَ حسينٌ: يا أميرَ المؤمنين، هاتِ هاونِ

نحاس. فأمرَ الخليفةُ بإحضارِ هاونِ نحاس،

وكانَ وزنه أربعين رطلاً بغدادياً، فلما أحضره

قامَ حسينٌ وجلسَ على الهاونِ، وقامَ ووقفَ على

رجليه في وسطِ النَّارِ على الهاونِ، وقالَ لهم: يا

علمائنا، ويا فقهاءنا، ويا عامة، ويا سوقة، ويا

أهلَ بغداد، كلٌّ من كانَ منكم يريدُ مناظرتي،

ومجادلتي، فليجئني ويجلسَ معي في هذه النَّارِ،

على هذا الهاونِ النحاس، حتَّى تحرقَ النَّارُ بدنه.

فلما سمعوا من حسين ذلك الكلامِ ولَّوا الأدبارَ،

وركنَ الكلُّ إلى الفرارِ، فقالَ لهم حسين: يا

ويلكم، تهربون من نارِ الدنيا، ولا تهربون من

نارِ الآخرة؟ فمن أرادَ أن ينجو من نارِ الآخرة فلا

يأكل الحرام، ولا يظلم الأيتام، ولا يترك الصلاة

والصيام. ثمَّ إنَّه صارَ يحدثهم، ويعظهم^(٧٩) وهو

واقف على الهاونِ في النَّارِ، فلما زادَ به الغرامُ من

العشقِ والهيامِ، حطَّ أصابعه في أذنيه، وقالَ: الله

أكبر، الله أكبر. فانطفأتِ النَّارُ، وتفرَّقَ الهاونِ،

وصارَ ستين قطعة.

فقالَ حسينٌ: يا أميرَ المؤمنين، لو قالَ المؤذنُ: الله

أكبر، بصدقِ الإشارةِ لما حملته هذه المنارةُ، وكانت

تفتت من تحت أقدامه الحجارةُ، أنا ما كذبتُه في

المقالِ، ولكن كذبتُه في الكلامِ؛ فإنِّي نظرتُ إلى ديكِ

العرشِ^(*).

فلما رأتِ أهلُ بغدادِ منه هذه الكرامةَ، ولَّوا

الأدبارَ، وركنوا إلى الفرارِ، ولَّوا هاربيين، وقالوا:

ليس لنا به طاقةٌ. فذهبَ حسينٌ إلى شيخه، وباتَ

عنده تلكَ الليلة، وإذا برجلٍ قد دخلَ على الخليفةِ،

وكانَ اسمه خالد، وناولَه ثمانين فتوى على حسين

الحلاجِ بالكفرِ، وتلكَ الفتاوى من أربعة وثمانين

عالمياً من علماء بغداد، وعلماء الشام، وعلماء مصر:

أنَّ في قتلِ الحلاجِ صلاحاً للمسلمين.

فلما قرأها الخليفةُ، وفهمَ معناها، أرسلَ إلى

الشيخِ الجنيدِ يعلمه بالقصةِ من أولها إلى آخرها،

(٧٩) في الأصل: ويوعظهم.

(*) «ديك العرش» استعارة من أحاديث وروايات، وقد جاءت تفسيراً لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ النور: ٢٤ / ٤١.

وليس في الإعادة إفادة، وقال له: يا شيخ، فوضنا الأمر إليك في قبض حسين الحلاج، وأرسله إلى عندي مكتوفاً حتى إننا نقاصمه بما يوجب في شرع الله تعالى؛ لأنه زاد في كفره.

فلما سمع الجنيد من الخليفة هذا الكلام، مسك حسيناً وكتفه، وبعث به إلى الخليفة، وقال: إنني امتثلت أمرك يا أمير المؤمنين، فافعل به بما قدر الله تعالى عليه، وما يوجب عليه في الشرع. فلما نظر حسين نفسه بين يدي أمير المؤمنين مكتوفاً، بكى بكاءً شديداً، وأنشد يقول (*):

١- سلّمتُ رُوحِي مِنَ البُلُوي لِمَتَلَفِها

إِلَّا لَعَلِمِي بِأَنَّ المَوْتَ يُحْيِيها

٢- نَفْسُ المَحَبِّ عَلى الأَسقامِ صابِرَةٌ

لَعَلَّ مُمرضِها يَوماً يَداوِيها

٣- ونظرة منك يا سؤلي ويا أملي

أشهى إلي من الدنيا وما فيها

٤- وليس للنفس أمالاً تؤملها

سوى رضاك فذا أقصى أمانها

قال الراوي: فلما فرغ حسين من شعره، قال له شيخه: يا حسين، اصبر؛ فإن الوقت قد قرب، والأجل قد حضر، سلّمها تسلم، لقد أتعبتني وأتعبت نفسك، وأتعبت الناس، والخليفة، والعلماء، والفقهاء، والعامّة، والسوقة، وأهل

(* هكذا ورد في الأصل، وقد وردت الثلاثة الأبيات الأولى ضمن قصيدة في ديوان الحلاج، إلا أن اختلافاً مسها، وهي كالآتي:

لم أسلم النفس للأسقام تتلفها

إلا لعلمي بأن الوصل يحييها

ونظرة منك يا سؤلي ويا أملي

أشهى إلي من الدنيا وما فيها

نفس المحب على الألام صابرة

لعل مسقمها يوماً يداويها

ديوان الحلاج (تح: كامل مصطفى الشيباني)، منشورات الجمل، بيروت، ص ١٤٦.

بغداد، وأنا أقول لك: اكنم سرّك وإلا ما تسلم. فلما سمع حسين من شيخه هذا الكلام، علم أنه مقتول لا محالة، فالتفت يمينا وشمالاً، وقال: اثتوني بدواة وقرطاس. فأتوه بما طلب، فكتب فيه يقول: [لكم مهجتي طوعاً، لكم مهجتي رضا، لكم جسدي مني، لكم دمي حلواً] (*). ثم إنّه ألقى الورقة في الهواء^(٨٠)، فغابت ساعة، ثم رجعت إليه مكتوباً فيها: أنت إن كنت منا، وتريد قرب وصلنا، أطعنا، قتل النفوس في شرعنا حلو أقرب. قال الراوي: فلما فرغ حسين من هذا الكلام، بكى بكاءً شديداً، وأنشد يقول (*):

١- اقتلوني يا ثقاتي إن في قتلي حياتي

٢- وحياتي في مماتي ومماتي في حياتي

فما تمّ كلامه إلا وأخذه إلى المصلب، وقطعوا يديه ورجليه، والخليفة واقفٌ ينظر، والناس كذلك. فبينما هم واقفون وحسين أنشد يقول (*):

٣- اقتلوني واحرقوني في عظامي الباليات

(* هكذا ورد في الأصل، غير أن النصّ موزونٌ على شطرين:

لكم مهجتي طوعاً لكم مهجتي رضا

لكم جسدي مني لكم دمي حلواً

(٨٠) في الأصل: الهوا.

(* هكذا ورد في الأصل، والبيتان مطلع تائية الحلاج:

أقتلوني يا ثقاتي إن في قتلي حياتي

ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي.

ديوان الحلاج (تح: كامل مصطفى الشيباني)، منشورات الجمل، بيروت، ص ٣٥.

(* هكذا ورد في الأصل، غير أن البيت الأخير لم يرد في الديوان، و تمّ اختلاف في البيتين الأولين:

فاقتلوني واحرقوني بعضامي الفانيات

ثم مروا برفاتي في القبور الدارسات

تجدوا سرّ حبيبي في طوايا الباقيات

ديوان الحلاج (تح: كامل مصطفى الشيباني)، منشورات الجمل، بيروت، ص ٣٥.

٤- تجدوا سرَّ حبيبي في طوي الباقيات
٥- فأنا أستغفرُ اللهَ مِنْ عظيمِ السيئاتِ
قال الراوي: فلما فرغَ حسينٌ من شعره، وإذا
بشيوخين عظيمين من أكابر بغداد، وكانَ الخليفةُ
يحبهم حبًّا شديدًا، ويسمعُ لقولهم؛ لأنَّهم كانوا
عنده في أعلى المنازل، ولا يأخذُ إلاَّ بشهادتهم،
وكانوا أفضى قضاة بغداد، وأكبرَ علمائها، فلما
دخلوا على الخليفةِ وسلَّموا عليه، بعد ذلك ردَّ
عليهم السلام، وقال: ما شأنكم؟ فقالوا: نشهد أن
حسينًا الحلاج قد كفر؛ لأنَّه كانَ ماشياً ذات يوم في
السوقِ وعليه جبة صوفٍ، فقالَ له الناس: بصرنا
يا حسين ما في جبتك؟ فقال لهم: الله.

فعند ذلك لامه العلماءُ، فقالَ لهم: اذهبوا، فهذا
معبودكم. وأشارَ إلى الأرضِ بإصبعه، فقالوا: كيفَ
تجعل معبودنا الأرض ونحن نعبد الله وحده لا
شريك له؟

فقال: اتنوني بقفة ومسحاة، فحفرَ موضعَ
ما أشارَ لهم، فبانَ كنزٌ ذهبٍ، فقالَ لهم: يا قضاة،
أنتم تبيعون دينكم بدنياكم، ولم تعبدوا الله على
الحقيقة.

وقالَ حسين: يا سادتي العلماء، أمَّا قولكم
الأول - في قضية الجبة - في قولي: إنَّ فيها الله،
فيعني: أنا من مصنوعاته؛ وأمَّا الكلام عن الكنز،
فإنكم تعملون بالذهبِ الحقِّ باطلاً، والباطلَ
حقًّا، فكأنَّكم عبدتم الذهبَ، ولم تعبدوا الله على
الحقيقة؛ لأنَّ في الحقيقة مَنْ أحبَّ شيئاً سوى الله
ورسوله صارَ عبده.

فلما سمعَ الخليفةُ ذلك أمرَ أن يحبسوه تلك
الليلة، وأن يقيدوه، ويجنزروه، ويكتفوه في عمود
رخام. فعند ذلك دخلَ عليه رجلٌ من الأولياء
الكبار^(*)، وكانَ من أصحابه، وسلَّم عليه، ووجده
^(*) يبدو أنه أبو بكر الشبلي، ويدل على هذا ما ورد في
أخبار الحلاج. ينظر: علي بن أنجب الساعي البغدادي،

بتلك الحال^(٨١) في أسوأ حالٍ، فقال له حسين: ما
جاء بك في هذه الليلة؟ فقال: يا مولاي، جئتُ
أسألك عن ثلاثة أشياء: عن الصبر والفقر الولاية.
فقال له حسين: بت عندي وأنا أريك الليلة اثنين،
وغداً أريك الثالث. فنامَ تحت رجله إلى قليلٍ من
الليل، فنعمسَ تحت رجلي حسين؛ لأنَّه كانَ مصلوباً
في عمود، واقفاً لا يستطيع الجلوس، فما أحسَّ إلاَّ
وشيء يحسُّ عليه، وينبئه، ويقول له: أفق يا شيخ
فلان. فقال: من ينبهني؟ فقال له حسين: أمَّا قلتَ
لي أرني الثلاث كرامات؟ فقال له: من فكك من
الحديد؟ فقال: الله تعالى.

وأخذه بيده، وجاء به إلى سور السجن، فأشارَ
حسين بيده إلى الحائط، فانفتحَ وبانَ عن فلاةٍ
واسعةٍ وهي تقيد أضواءً من نور الشمس، والقمر،
والنَّهار، وذلك في ظلمة الشهر، فقال لحسين: ما
هذا النور يا سيدي؟ فقال: اذهب وتفرج في ذلك
الوادي من اللؤلؤ، والرطب، والصغير من الحصى
جواهر، والحجارة الكبار من الكهرمان، وأنواع
كثيرة.

فرجعَ إلى حسين، وأعلمه الخبرَ، فقال له: أنتَ
سألتني عن الصبر والفقر، فأنتَ رأيتني وأنا
صابرٌ على السجن والضيق في الحديد، ولم أفك
نفسي، ولما ضربني السجنانُ على ثمن الزيت صارَ
حتَّى يضيء السجن، ولم أعطه درهمَ الفريد، والله
تعالى قدرني على أن تبقى الرمالُ معادن، ولم
أعطِ السجنانَ منها شيئاً، فهذا الصبر والفقر، ولما
يقتلونني أريك الثالثة وهي الولاية.

فلما كان صبيحة ذلك النَّهار أرسلَ وراءه

كتاب أخبار الحلاج (تح: موفق فوزي الجبر)، دار الطليعة
الجديدة، دمشق ١٩٩٧م، ص ٧٤-٧٥.
(٨١) في الأصل: الحالة.

الخليفةُ إلى بين يديه، فسَلَّمَ أمره إلى الله تعالى، وكتفَ نفسه، وبرك، وصرَب، واحتسبَ بالله للقضاء والقدر. قال [الراوي]: فلما رأت المشايخُ والأولياءُ منه هذه الكرامات، وهذه الفضائل، قامَ الشيخُ الشبلي (*) رضي الله عنه، وخرَجَ بالفقراء، وهم ستون فقيراً، في تكبيرٍ وتهليلٍ لله ربِّ العالمين، وخرَجَ الشيخُ الجنيد ومعه أربعون فقيراً وهم في تكبيرٍ وتهليلٍ لله ربِّ العالمين، فكادت مرايرهم تقطرُ من حزنهم على حسين الحلاج، وعلا^(٨٢) في بغدادَ الذكْرُ والضجيجُ حتَّى خيَلُ إلى أهل بغداد أنَّ الأرضَ قد خسفت بهم، فقامَ الشيخُ الجنيد - شيخ حسين الحلاج - وقالَ له: يا ولدي يا حسين، ألك حاجةٌ قبل فراقِ الدنيا حتَّى أفوزَ بقضائها؟ فقال: نعم، أريدك أن تحضُرَ لي أختي الحنونة حتَّى إنِّي أوصيها بوصيةٍ من بعدي.

فذهبوا إلى أخته، وأتوا بها، فحضرت مكشوفةً الوجه، فقالَ لها أخوها حسين: يا أختي، أما تحمين^(٨٣) وجهك من هؤلاء الرجال! فقالت: يا أخي، وأين الرجال؟! ولو كانوا رجالاً ما أنكروا حالَ الرجال. فقال لها: يا أختي، بهذا قدرَ اللهُ تعالى، وبهذا يعرفُ الله تعالى، ولا مفرُّ من قضاءِ الله وقدره، وقد نفذت في دعوة الشيخ الجنيد، وأريدُ أن أوصيكِ يا أختي بهذه الوصية، إذا رأيتهم قد حرقوني، خذي من رمادي [كمشة] وأصريها عندك، واحتفظي بها، بعد ثلاثة أيام تفيض دجلة على أهل بغداد حتَّى إنَّهم يعاينون الغرق، فيأتون إليك ويتضرعون بين يديك، فقومي وخذني من ذلك الرماد الذي عندك وذري منه قليلاً في ذلك الماء، وقولي له: ارجع يا مبارك من حيث أتيت؛ فإنَّ أخي قد حلَّ جميع من أثنى عليه؛ لأجل عين تكرم؛ لأجل شيعي الجنيد رضي الله عنه.

(*) هو أبو بكر الشبلي، واسمه دُلف، ويقال اسمه جعفر بن يونس، وهو خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد، وقيل ولد في سامراء، وقد عاصر الحلاج، وصحب الجنيد، وكان فقيهاً على مذهب مالك، وقد توفي سنة ٣٣٤ هـ. ينظر: السلمى، طبقات الصوفية، ص ٣٣٧. (٨٢) في الأصل: على. (٨٣) في الأصل: تحمي.

فلما سمعت أخته منه هذه الوصية، وهذا الكلام، بكت بكاءً شديداً، وأنشدت تقول الشعر:

١- أقولُ وقد أسبلتُ في الليلِ عبرتي
على صحنِ خدي من فراقِ أحبتي

٢- أحبابنا أنتم نسيتم عهدنا
فصبرُ على بعدِ الديارِ ووحدتي

٣- أرى كلَّ من أشكو إليه من الهوى
يعالجُ أشواقِي ويشكو كشكوتي

٤- لأتِي غريبُ في البلادِ موجعُ
أقاسي أليمُ البُعدِ في كلِّ بلدةٍ^(٨٤)

قال الراوي: فلما فرغت أخته من شعرها، بكت بكاءً شديداً، وودعت أخاها^(٨٥)، وباسته، وعانقته، فأغمي عليهما، وقد سقطا^(٨٦) إلى الأرض، فظنت الناسُ أنَّهما^(٨٧) قد ماتا^(٨٨)، فعند ذلك تباكت المشايخُ والفقراءُ وأهلُ بغداد، وزادَ بهم الوجدُ والهيامُ، فلما أفاقا^(٨٩) من غشوتهما، وقد أعلنت بالبكاء والنحيب، وقد أنشدت تقول:

١- بكت عيني على تغيرِ حالي
وصرفِ الدهرِ في تلك الليالي

٢- وطولِ الحزنِ بعد حبيبِ قلبي
وحزني زايدُ كيف احتيالي

٣- ومن أرجوه يا أخي يكن لي
إذا بقت النساءُ بلا رجالِ

٤- أخي لم أزل الدهر أبكي
وقلبي موجعُ من سوءِ حالي

٥- أخي كيف أصبر عنك وأسلو
عيشتي في ذي^(٩٠) الليالي

(٨٤) في الأصل: بلدتي.

(٨٥) في الأصل: أخيها.

(٨٦) في الأصل: سقطوا.

(٨٧) في الأصل: انهم.

(٨٨) في الأصل: ماتوا.

(٨٩) في الأصل: افاقوا.

(٩٠) في الأصل: ذا.

٦- ألا يا ناسُ ما تَرثُوا لحالي

وحزني زايدُ زادَ انتحالي

٧- أخي لا تكنْ تنسى عهودي

ولا تنسِ^(٩١) المودَّةَ والمقالِ

قال الراوي: فلما فرغت أخته من شعرها، قامت وودعت أباها، وسارت إلى منزلها وهي حزينة القلب، ذاهلة اللب، لا تبرد نارها، ولا يقر قرارها؛ لأجل أخيها المظلوم.

قال الراوي: فعند ذلك نادى المنادي في مدينة بغداد: ألا يا أهل بغداد، ويا أهل البلدان، ومعاملة بغداد، كل من أراد أن يتفرج على قتلة حسين الحلاج، فليحضر، يا أمة محمد بالعجل.

قال الراوي: فما إن أتم كلامه حتى حضر أهل بغداد، ولم يبق في بغداد لا كبير ولا صغير، ولا ابنة ولا امرأة، ولا شيخ ولا رجل، إلا وقد حضر في تلك الساعة، وقد خلت بغداد من أهلها، وقد ازدحمت الخلق بعضها على بعض حتى بقي القدم على القدم اثنين وسبعين قدماً، ثم أتى به الجلاذ إلى تحت المصلب، وربطه بعد أن قطع يديه ورجليه، فأتى شيخه الجنيذ ليودعه، فالتفت إلى حسين الحلاج، فرأه يبتسم، وهو صامت لا يتكلم ولا يتألم، فعانقه شيخه وباسه، وودعه، وقال له: يا حسين لا تنسِ^(٩٢) العهد، والصحبة، والتربية بيني وبينك يوم القيامة. فقال له: السمع والطاعة لله، ثم لك يا شيخي، واغنموا الأجر. وأنشد يقول:

١- قفوا ودعونا نظرةً واغنموا الأجر

بفراقكم منا الدمع قد جرى بحرا

٢- وقد كنت قبل اليوم أكرم سركم

فلما جرى دمعي تهتك السترا

٣- وكان معي عقلي وسمعي وناظري

وذا اليوم لا عقلاً ملكت ولا صبرا

٤- سلوا حادي الأظعان يرفق سركم

فأرواحنا ما بين أظعانكم تسرى

٥- تركتم ربوع العز من بعد أنسها

خراباً ووحشاً وهي مظلمة قفرا

(٩١) في الأصل: لا تنسى.

(٩٢) في الأصل: تنسى.

٦- سألتُ ديار الحي أين أحبتي

عهدناهم في النايبات لنا ذخرا

٧- وأين وجوه كان نور جمالهم

إذا ما تبدت تخجل الشمس والبدر

٨- أجاب لسان الحال عنهم لقد مضوا

فاندبهم وابك بمقلتك العبرا

٩- فيا ليت شعري هل يجبني مبشر

يقول لفؤادي يا فؤادي لك البشري

١٠- وأنزل روعي في لقاء أحبتي

وأسجد لربي حين ألقاهم شكرا

قال الراوي: فلما فرغ حسين من شعره، بكى شيخه بكاءً شديداً، وأنشد يقول:

١- رحلوا وفي قلبي المتيم خيموا

فأنا الحزين لفقدهم والمغرم

٢- ما كان أحلى في العيون جمالكم

وألذ في سمعي حديثاً عنكم

٣- ضاقت بي الدنيا لغيبة حسنكم

لا أوحش الله المنازل منكم

٤- يا بين قد شئت شملي بعدهم

وأصاب قلبي من سهامك أسهم

٥- وأذقتني التفريق منهم لوعة

كادت له روعي تذوب وتعدم

٦- قد غاب أقمار الحمى تحت الثرى

فالجو بعد جمالهم قد أقتم

٧- ولقد عزمت على التصبر سيدي

فوجدت قلبي قد ترحل معكم

قال الراوي: فلما فرغ شيخه من شعره، ودعه

وسار، وفي قلبه لهيب النار من أجل فراق حسين

الحلاج؛ لأنه رياه مثل ولده، فعند ذلك رمى الجلاذ

الحبال على الخشب، وقال لهم: اسحبوه. فلما سار

على الخشب رأى من تحته خلقاً كثيراً مثل الجراد

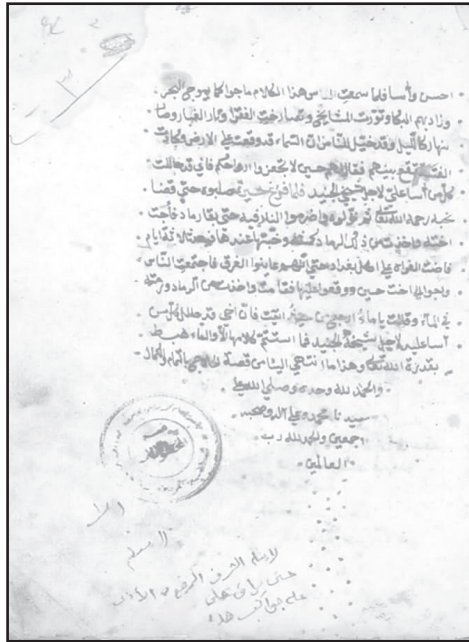
المنتشر، فأدار وجهه إلى القبلة، وزعق، وقال: يا أهل

بغداد، ويا فقهاء، ويا علماء، ويا مشايخ، ويا فقراء،

ويا أمة محمد، الفاتحة في صحائفكم، وفي صحائف

من أحسن وأساء، فلما سمعت الناس هذا الكلام

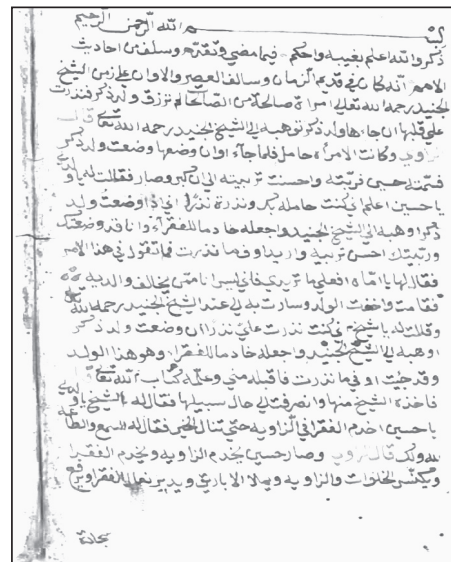
ماجوا كما يموج البحر، وزاد بهم البكاء، وتوترت



المشايع، وتصارخت الفقراء، وثارَ الغبارُ، وصارَ منها كالليل، وقد خيّل للناس أنّ السماء قد وقعت على الأرض، وكادت الفتنة تقع بينهم، فقال لهم حسين: لا تجعزوا أرواحكم؛ فإنّي قد حللت كلّ من أساء عليّ لأجل شيخي الجنيد.

فلما فرغ حسين صلبوه حتّى قضى نحبه رحمه الله تعالى، ثمّ تولوه وأضرمو النار فيه حتّى بقي (٩٣) رماداً، [فأجّت] أخته، وأخذت من ذلك الرماد [كمشة] وخبّأتها^(٩٤) عندها، في ثلاثة أيام فاضّ دجلة^(٩٥) على أهل بغداد، حتّى إنهم عاينوا الغرق، فاجتمعت الناس و[أجوا] إلى أخت حسين، ووقعوا عليها، فقامت وأخذت من الرماد، ورمته في الماء، وقالت: يا ماء ارجع من حيث أتيت؛ فإنّ أخي قد حلل كلّ من أساء عليه؛ لأجل شيخه الجنيد. فما استتمّ كلامها إلّا والماء هبط بقدرة الله تعالى. وهذا ما انتهى إلينا من قصة العلاج بالتمام والكمال.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين.



- ثبت المراجع
١. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية (تح: نور الدين شربه)، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٦ م.
 ٢. الحافظ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥ م.
 ٣. الحلاج، الديوان (تح: كامل مصطفى الشيبلي)، منشورات الجمل، بيروت ٢٠٠٧ م.
 ٤. علي بن أنجب الساعي البغدادي، كتاب أخبار الحلاج (تح: موفق فوزي الجبر)، دار الطليعة الجديدة، دمشق ١٩٩٧ م.
 ٥. الفتوحات المكية، محيي الدين بن العربي (تح: عبد العزيز سلطان المنصوب)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠١٧ م.
 ٦. قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد (تح: سعيد عبد الفتاح)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
 ٧. نهج البلاغة (تح: صبحي الصالح)، أنوار الهدى، إيران ١٤٢٩ هـ.
 ٨. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٧٧ م.

(٩٣) في الأصل: بقا.

(٩٤) في الأصل: خبّتها.

(٩٥) في الأصل: الفرات.